

خطبة الجمعة - الخطبة ٨٨٤ : أسباب التقاعس .

لضيالة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ٢٠٠٣-٠٦-٦

بسم الله الرحمن الرحيم

الخطبة الأولى:

الحمد لله نحده ، ونستعين به ونسترشد ، وننحوذ به من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، من يهدى الله فلا مضل له ، ومن يضل فلن تجد له وليناً مرشدًا ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، إقراراً بربوبيته وإرغاماً لمن جحد به وكفر ، وأشهد أن سيدنا محمداً صلى الله عليه وسلم رسول الله سيد الخلق والبشر ، ما اتصلت عين بنظر أو سمعت أذن بخبر ، اللهم صلّ وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً ، اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم ، اللهم علمنا ما ينفعنا وانفعنا بما علمتنا وزدنا علماً ، وأرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه ، وأرنا الباطل باطلًا وارزقنا اجتنابه ، واجعلنا ممّن يستمعون القول فيتبعون أحسنه ، وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين .

تتبع عيوب الآخرين آفة كبرى تعيق السير إلى الله عز وجل :

أيها الأخوة المؤمنون ؛ في الخطبة السابقة قلت : إنني أتوجه بتلك الخطبة لا إلى عامة المسلمين ، ولا إلى رواد المساجد ، ولكن إلى السالكين إلى الله عز وجل ، فهناك مشكلات وسلبيات تعيق طريق تقديمهم إلى الله عز وجل ، وقللت للموضوع تتمة ، فمن متابعة لهذا الموضوع أن بعض العلماء يقول : ما رأيت شيئاً أحبط للأعمال ، ولا أفسد للقلوب ، ولا أسرع في هلاك العبد ، ولا أدول للأحزان ، ولا أقرب للمقت ، ولا ألزم لمحبة الرياء والعجب ، من قلة معرفة العبد بنفسه ، ونظره في عيوب الناس .

وأكاد أقول : إن السمة الغالبة على من يعملون في حقل الدعوة ، أو من هم سلكوا الطريق إلى الله عز وجل أن أدق عيوب الآخرين عندهم واضحة جداً ، بل ومكيرة جداً ، بينما أكبر العيوب التي هي فيه لا يرونها ، هذه مشكلة أيها الأخوة تجعل بأس المسلمين بينهم ، تجعلهم لا يسارعون الخطى إلى الله عز وجل ، بل ينشغلون في تقدير بعضهم البعض ، فذلك هذا السلوك أن أغافل عن عيوب الكبيرة ، وأن أتبع عيوب الآخرين الصغيرة ، هذه آفة كبرى تعيق في طريق السير إلى الله عز وجل ، فالنبي عليه الصلاة والسلام يقول :

((طوبي لمن شغله عييه عن عيوب الناس))

[الدليمي في مسن الفردوس عن أنس تصحيف السيوطي : حسن]

((منْ حُسْنَ إِسْلَامِ المرءِ تَرُكُهُ مَا لَا يَعْنِيهِ))

[الترمذى وابن ماجه عن أبي هريرة]

إلا إذا سئلت ، إلا إذا استفتيت ، إلا إذا كانت الإجابة عن السؤال دفع لضرر أو جلب لخير ، أما أن أتكلم من دون سؤال ، ومن دون دفع لضرر ، ومن دون جلب لمنفعة، لمجرد أنني أنصب نفسي وصيًّا على المسلمين ، أتبع عوراتهم ، وأقيمهم ، وأصنفهم ، وأنا لا أفعل شيئاً ، هذا عيب خطير في الذين هم في الطريق إلى الله عز وجل ، هذه واحدة .

الإخلاص هو التعاون و التجاوز عن السيئات :

أيها الأخوة : تناقر القلوب من أين يأتي ؟ من فلتة لسان ، أو هفوة لا تغفر ، أو ظن متوهם ، ترى القلوب ليست مجتمعة ، الصحابة الكرام لم يكونوا كذلك ، أحدهم ذكر للنبي صلى الله عليه وسلم في بعض الغزوات حينما سأله النبي عن أحد الصحابة ، قال : يا رسول الله شغله بستانه عن الجهاد في سبيلك ، فغضب النبي عليه الصلاة والسلام ، فقال الآخر : لا والله يا رسول الله ، ما علمنا عليه إلا خيراً ، لقد تخلف عنك أناس ما نحن بأشد حباً لك منهم ، ولو علموا أنك تقى عدواً ما تخلفوا عنك ، فسرّ النبي عليه الصلاة والسلام لهذا الحب الذي بين أصحابه ، لهذا التماسك ، فنحن بحاجة إلى حب ، بحاجة إلى تماسك ، بحاجة إلى تعاون ، لأن العدو يستهدفنا جميعاً .

ومن عالمة إخلاصك لهذا الدين أنك تتعاون مع إخوانك ، ومن عالمة إخلاصك لهذا الدين أنك تتجاوز عن بعض السلبيات التي لا علاقة لها بالكليات .

أيها الأخوة الكرام ؛ يقول أحد كبار العلماء : من قواعد الشرع والحكمة أيضاً أنه من كثرة حسناته وعظمت ، وكان له في الإسلام تأثير ظاهر ، فإنه يتحمل منه ما لا يتحمل من غيره . أي له فضل كبير ، وله باع طويل ، وله أعمال جليلة ، وله هفوات ، فمقابل هذا العمل العظيم ، وهذه التضحية الكبيرة ، وهذا الإنجاز الضخم ، الأولى أن نتغاضى عن هفواته ، لا أن نجعلها مكاناً أو سبباً لتجريح مكانته كلها ، ولا سيما هذا الذي يجرح لم يقدم للمسلمين شيئاً ، طبعاً هذا الكلام يحتاج إلى دليل ، والدليل : أن حاطب بن بلترة الذي ارتكب بالنظم العالمية خيانة عظمى ويستحق القتل في أي نظام في الأرض ، أخبر قريشاً أن محمداً صلى الله عليه وسلم سيغزوهم ، فقال عمر لرسول الله صلى الله عليه وسلم : دعني أضرب عنق هذا المنافق ، قال : لا يا عمر إنه شهد بدرأً ، كان النبي عليه الصلاة والسلام وفيما ، وكان يقدر للإنسان إيجابياته ، ويقدر في الإنسان سلبياته ، لا يا عمر إنه شهد بدرأً ، تعال يا حاطب لم فعلت ما فعلت ؟ قال : والله يا رسول الله ما كفرت ولا ارتدت ، وأنا موقن أن الله سينصرك ، وأنا لصيق في قريش ، ليس لي عندهم يد ، أردت بهذا أن يكون لي عندهم يد أحفظ بها مالي وأهلي ، فقال عليه الصلاة والسلام : إني صدقته فصدقواه ، ولا تقولوا فيه إلا خيراً .

أي إذا إنسان ينتفع الناس منه ، وله عمل طيب ، وله إنجاز كبير ، وله بعض الهاوونات ، مهمة بعض الناس تتبع هذه الهاوونات ، والتضخيم ، والتكيير إلى أن تهدر مكانته بين المجتمعين ، ليس هذا عملاً بناياً إنما هو عمل هدام ، ليس هو عملاً يحتاجه المسلمون اليوم ، بل يحتاجون إلى خلاف ذلك .

أيها الأخوة الكرام ؛ هذه واحدة :

((طوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس))

[الدليمي في مسن الفردوس عن أنس تصحيف السيوطي : حسن]

((من حُسْنِ إِسْلَامِ الْمَرءِ تَرْكُهُ مَا لَا يَعْنِيهِ))

سيدنا عثمان قدم شيئاً كبيراً في بعض الغزوـات ، فقال عليه الصلاة والسلام :

((مَا ضَرَّ عُثْمَانَ مَا عَمِلَ بَعْدَ الْيَوْمِ مَرَّتَيْنِ))

[الترمذـي عن عبد الرحمن بن سمرة]

أي أن النبي عليه الصلاة والسلام جعل هذا الفضل الكبير يمتص بعض الهاوونات التي قد تصدر من غير المعصوم .

أيها الأخوة الكرام ؛ لهذا الكلام دليل فقهي أن الماء الكثير لا تضره نجاسته طفيفة ، بينما الماء القليل تضره النجاستـة الطفيفة .

إعطاء كل ذي حق حقه :

شيء آخر أيها الأخوة : هناك من ينتقل من عمل إلى عمل ، لا يثبت على عمل ، كل يوم في عمل ، له في كل يوم منهج وطريقة ، يمدح ذلك العمل حيناً ، ويذمه حيناً آخر ، ثم ينتقل إلى غيره ، لم يستقر له قرار ، مع أن الله سبحانه وتعالى أمرنا أن نعبدـه فيما أقامـه ، فالذي أقامـه الله عنيـاً عبادـته الأولى إـنفاقـ المال ، والـذي أقامـه قويـاً عبادـته الأولى إـنصافـ المظلوم ، والـذي أقامـه عالـماً عبادـته الأولى تعـليمـ العلم ، فلا يـنـبغـي أن تـجـمـعـ كل الأـعـمـالـ الصـالـحةـ ، وأن تـنـتـقـلـ من عمل إلى عمل ، والـعملـ الـذـي أـنـتـ فـيـهـ تـبـالـغـ فـيـ التـنـاءـ عـلـيـهـ وـمـدـيـهـ، وـتـزـدـرـيـ الأـعـمـالـ الأـخـرىـ ، أـكـبـرـ خطـأـ يـعـيشـهـ الـمـسـلـمـونـ أـنـ المـتـقـوـقـ مـنـهـ يـرـىـ مـاـ فـيـهـ ، وـهـوـ يـتـعـامـيـ عـمـاـ عـنـ الـآخـرـينـ مـنـ خـيـرـ ، لـاـ يـرـىـ الـخـيـرـ إـلـاـ فـيـمـاـ يـفـعـلـ ، وـيـرـىـ السـفـاهـةـ فـيـ فعلـ الـآخـرـينـ ، هـذـاـ أـيـضاـ مـوـقـفـ غـيـرـ مـوـضـوـعـيـ ، وـلـاـ يـمـكـنـ أـنـ يـجـمـعـ القـلـوبـ ، وـلـاـ أـنـ يـؤـلـفـهـاـ ، هـذـاـ أـقـامـهـ اللهـ فـيـ الـفـقـهـ وـفـيـ الـحـدـيـثـ ، وـهـذـاـ فـيـ التـفـسـيرـ ، وـهـذـاـ فـيـ الدـعـوـةـ ، وـهـذـاـ فـيـ الـقـضـاءـ ، وـهـذـاـ فـيـ الـمـوـارـيـثـ ، كـلـ عـالـمـ تـفـوقـ فـيـ جـانـبـ ، وـسـدـ ثـغـرـةـ كـبـيرـةـ فـيـ حـقـلـ الدـعـوـةـ ، أـمـاـ أـنـ يـدـعـيـ كـلـ وـاحـدـ اـخـتـصـاصـهـ هـوـ وـحـدهـ الـخـطـيرـ وـمـاـ سـوـيـ ذلكـ لـاـ قـيـمةـ لـهـ فـهـذـاـ يـشـيـعـ الـعـداـوـةـ وـالـبـغـضـاءـ فـيـ صـفـوـفـ الـعـاـمـلـيـنـ فـيـ حـقـلـ الدـعـوـةـ إـلـىـ اللهـ عـزـوجـلـ.

يقول بعض العلماء : الأولى أن يأخذ كل واحد منا من العمل ما يتواافق مع طبيعتـهـ. الدينـ وـاسـعـ

جداً إليها الأخوة ، ويمكن أن تختص بجانب دون أن تتفاوت أحداً ، أما أن تظن أن العمل الذي أنت فيه هو وحده المجد وما سواه لا قيمة له فهذا موقف ليس علمياً ، يجب أن تعرف ما عندك من خير ، وأن تعرف ما عند الآخرين من خير ، يجب أن تعرف قيمة اختصاصك في الدين ، وقيمة الاختصاصات الأخرى ، والعلماء بدل أن يتنافسوا ينبغي أن يتعاونوا ، إن كل واحد منهم يكمل الآخر .

أيها الأخوة الكرام ؛ يقول بعض العلماء : من يسره أن ينظر إلى أعلم رجل أدركناه في زماننا فلينظر إلى الحسن ، فما أدركنا أعلم منه ، ومن سره أن ينظر إلى أورع رجل أدركناه في زماننا فلينظر إلى ابن سيرين ، إنه ليدع بعض الحال تائماً ، ومن سره أن ينظر إلى عبد رجل أدركناه في زماننا فلينظر إلى ثابت البناي ، فما أدركنا عبد منه ، ومن سره أن ينظر إلى أحفظ رجل أدركناه في زماننا وأجره أن يؤدي الحديث كما سمع فلينظر إلى قتادة .

هكذا السلف الصالح ، يعطي لكل ذي حق حقه ، هؤلاء لم يتنافسوا بل تعاونوا ، هذا قمة في الورع ، وهذا قمة في العبادة ، وهذا قمة في الزهد ، وهذا قمة في رواية الحديث، وهذا قمة في العمل الصالح ، هكذا ينبغي أن نتكامل ، لا أن نتفاوت إليها الأخوة .

العبرة في التطبيق :

أيها الأخوة الكرام ؛ ثم إن هناك من ينتقل من مسجد إلى مسجد ، يقيم حيناً ثم ينتقد هذا المسجد فيتحول عنه إلى مسجد آخر ، أيها الأخوة لعل العيب في هذا المتنقل ، لأن العبرة في المؤمن أن يطبق ما سمع ، فإذا طبق ما سمع انتفع بما سمع ، وارتقي إلى الله عز وجل ، أما إذا لم يطبق فمن سمت هذا الإنسان السأم والضجر والملل ، أنت حينما تطبق تتائق، ولو كنت في أي مسجد ، وحينما لا تطبق تتململ ولو كنت في أكبر مسجد ، العبرة فيك لا في المسجد ، لو وضحت هذا بمثل آخر ، لو كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم افتراضاً ولم تطبق منهجه لم تنتفع به ، ولو كنت مع إنسان ليس كما ينبغي وأنت لا تعلم لكنه أمرك فانتمرت ونهاك فانتهيت فتألقت عنده، أيعقل ألا تتألقي مع رسول الله وتتألقي مع إنسان ليس كما ينبغي؟ المعول عليه أنت ، أي إنسان قال لك آية وشرحها لك وطبقتها قطفت ثمارها ، وأي إنسان بين لك حديثاً وفهمته وطبقته وقطفت ثماره نجحت وفزت ، فالعبرة لا في التنقل ولكن في التطبيق إذا علمت أنك على حق ، وأنك متمسك بكتاب الله ، وبسنة رسول الله ، وبمنهج السلف الصالح ، فأنت على حق ولو كنت في أي مسجد ، ولو كنت في أرقى مسجد ولم تكن مطبيقاً لمنهج الله عز وجل فأنت على باطل ، ما نفع أقرباء النبي الذين لم يؤمنوا به أن يأتي ذكرهم في القرآن الكريم مندداً :

﴿ تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ مَا أَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ ﴾

[سورة المسد : ٢-١]

الخوف والهلع من المخلوقين نقطة ضعف كبيرة في نفس المؤمن :

أيها الأخوة الكرام ؛ شيء آخر : الخوف والهلع من المخلوقين هذه نقطة ضعف كبيرة في نفس المؤمن ، لضعف توحيده ، ولضعف يقينياته ، ولضعف إيمانه أن الأمر بيده الله، وأن الله عز وجل بيده مقاليد السموات والأرض :

﴿فِي السَّمَاوَاتِ إِلَهٌ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌ﴾

[سورة الزخرف : ٨٤]

﴿مَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا﴾

[سورة الكهف : ٢٦]

حينما يضعف التوحيد يخاف الإنسان من المخلوقين ، أنا أذكر الخوف من المخلوقين لأنه يؤدي إلى ضعف في الدين ، إلى ضعف في الدعوة ، إلى ضعف في الالتزام ، إلى ضعف في البذل .

﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَأَخْشُوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنَعْمَ الْوَكِيلُ﴾

[سورة آل عمران : ١٧٣]

ضعف الصلة بالله عز وجل مرتع خصيب لأمراض كثيرة :

أيها الأخوة الكرام ؛ وأيضاً حينما تضعف الصلة بالله عز وجل ، حينما يقل نصيب العبادات النافلات ، حينما تضعف الصلة ، وحينما يقل الزاد ، وحينما يضعف الشحن ، تظهر الأمراض ، أعراض الإعراض ، تظهر مللاً ، وساماً ، وانتقاداً ، وضجراً ، وغيبةً ، ونميمةً ، هذه كلها أعراض عدم السير إلى الله عز وجل .

أيها الأخوة ؛ ضعف الصلة بالله عز وجل مرتع خصيب لأمراض لا تعد ولا تحصى يعني منها بعض المؤمنين الذين هم في نظر الناس ينبغي أن يكونوا قدوة ، و في أعلى درجة ينبغي . يقول الولي بن مسلم : رأيت الأوزاعي يثبت في مصلاه يذكر الله حتى تطلع الشمس ، ويخبرنا عن السلف أن ذلك كان هديهم ، وقال بعضهم : حجينا مع الأوزاعي سنة خمسين ومئة مما رأيته مضطجعاً في المحمل ، في ليل ولا نهار ، كان يصلي فإذا غلبه النوم استند إلى القتب .

طبعاً شواهد كثيرة جداً عن إنقاذ العبادات ، وعن الانشغال بالذكر ، هذا كله شحن، وأوضح مثل بين أيديكم هذا الهاتف المحمول من دون أن يشحن لا ينتفع به ، وكذلك المؤمن من دون أن يشحن بعبادة متقنة ، بذكر مخلص ، باتجاه إلى الله عز وجل ، باتصال محكم ، لا يمكن أن يترفع عن هذه المشكلات التي يعني منها المسلمون .

من شغله ماله و أولاده عن هدفه الأكبر فقد خسر خسارة كبيرة :

أيها الأخوة الكرام ؛ ذكرت لكم مرةً أن الشيطان يosoس للإنسان أن يكفر فإن رآه على إيمان يosoس له أن يشرك ، إن رآه على توحيد وosoس له أن يأتي ببدعة ، إن رآه على سنة يosoس له بأن يقترف كبيرة ، إن رآه على طاعة يosoس له باقتراف صغيرة ، إن رآه على ورع ، جميع المحاولات لم تنجح ، بقي بيد الشيطان ورقطان رابحتان ، الورقة الأولى أن يحرش بين المؤمنين ، هدف واحد ، وإله واحد ، وكتاب واحد ، وقرآن واحد ، ونبي واحد ، وطريق واحد ، وألام واحدة ، وأخطار واحدة ، وال المسلمين متفرقون ، بأسهم بينهم ، كل يدعى وصلاً بليلى ، كل يكيد للأخر ، ما هذا الإسلام ؟ ألم بينها حروب لا يعلمها إلا الله اتحدت ، ينطق بلسانها إنسان واحد ، وعشرات بل مئات من الدول الإسلامية كل في واد ، وكل في رأي ، وكل في هو ، هذه مشكلة كبيرة أيها الأخوة ، فلذلك الورقة قبل الأخيرة هي التحريش بين المؤمنين ، الورقة الأخيرة المباحثات ، يشغل المؤمن بدنياه فيستغرق انشغاله بدنياه كل وقته ، لم يبق له وقت ليتعرف إلى الله ، ليحضر درس علم ، ليقرأ كتاباً ، ليستمع إلى شريط ، ليحضر محاضرة، ليأمر بالمعروف ، لينهى عن المنكر ، عمله امتص كل وقته ، أو هوايته امتصت كل وقته ، والعمل الذي يأكل كل وقتك خسارة محققة أيها الأخوة ، حتى الزواج إذا أخذ كل النشاط ، وكل الوقت بهذه مشكلة كبيرة .

﴿شَغَّلَنَا أُمُوْلُنَا وَأَهْلُوْنَا فَاسْتَغْفِرْ لَنَا﴾

[سورة الفتح : ١١]

فحينما تشغل بمالك وأهلك وأولادك ، وهذا الشغل يمتص كل وقتك ، فأنت في خسارة كبيرة لأنك نسيت الهدف الكبير الذي خلقت من أجله ، لذلك :

﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هُوَنًا وَإِذَا خَاطَبُهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾

[سورة الفرقان : ٦٣]

يمشون هوناً لا يسمون لقضية في الدنيا أن تشغله عن هدفهم الكبير ، لا يسمون لخصوصة دنيوية أن تصرفهم عن هدفهم الكبير ، لا يسمون لمصلحة أمت بهم أن تتساهم هدفهم الكبير .

﴿يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هُوَنًا﴾

[سورة الفرقان : ٦٣]

عدم التوازن في العبادة نقطة ضعف في حياة المؤمن :

أيها الأخوة الكرام ؛ ومن العقبات أمام المؤمنين في طريقهم إلى الله عدم التوازن في العبادة ، فقد ينجح نجاحاً باهراً في بيته ، ويتحقق إخفاقاً صارخاً خارج البيت ، وقد ينجح في الدعوة على حساب تربية أولاده ، أو على حساب ضبط زوجته ، فهذا الذي ينجح في جانب ويتحقق في جانب

ليس متوازناً ، فعدم التوازن نقطة ضعف في حياة المؤمنين ، عدم التوازن سلبية في حياة المؤمن ، يقول عليه الصلاة والسلام :

((إن لنفسك عليك حقاً ، وإن لضيفك عليك حقاً ، وإن لأهلك عليك حقاً ، فأعط كل ذي حق حقه))

[البخاري عن أبي حيفية]

((أَمَا وَاللَّهِ إِنِّي لَأَخْشَاكُمْ لَهُ وَأَتَقَاعُمْ لَهُ لَكُنَّيْ أَصُومُ وَأَفْطُرُ وَأَصْلَى وَأَرْقُدُ وَأَتَرْوَجُ النِّسَاءَ فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنْتِي فَلَيْسَ مَنِّي))

[البخاري عن أنس بن مالك رضي الله عنه]

أحياناً يعتني بالآخرين وينسى أهله ، يعتني بأصدقائه وينسى أولاده ، يعتني بمن يأخذ عنه العلم وينسى أمه التي ربته ، عدم التوازن مشكلة كبيرة في حياة المؤمنين .

كل عمل تبتغي به وجه الله هو طريق لك إلى الجنة :

شيء آخر أيها الأخوة ؛ قد يقيمك الله في عمل فإذا أتقنته ونصحت به المسلمين تتألق أيما تألق ، وترقى إلى الله أيما رقي ، هناك من يطمح بعمل لا يملك وسائله ، لا يملك أساسياته ، فلا ينجح ، أرض عمل تبتغي به وجه الله ، الحقيقة الدقيقة أيها الأخوة أن كل عمل تبتغي به وجه الله هو طريق لك إلى الجنة ، والعبرة بدخول الجنة ، فإذا دخل الناس الجنة لا قيمة للوسائل ، فقد يدخل إنسان الجنة بالدعوة إلى الله ، وهذا بخدمة الخلق ، وهذا بتقديم حاجات جيدة بأسعار معتدلة ينفع بها المسلمين ، وهذا في معالجة مرضى المسلمين ، وهذا في بناء المساجد ، وهذا في الجمعيات الخيرية ، وهذا في تأليف الكتب ، وهذا في تقرير المناهج ، الطرائق إلى الخالق بعدد أنفاس الخلائق ، أتقن العمل الذي أقامك الله فيه ، أتقن العمل الذي تملك أسلوبه ، وتملك مقوماته ، فكل عمل تتぬف به المسلمين ، وتبتغي به رضوان الله عز وجل هو طريق إلى الجنة ، هذا المفهوم أيها الأخوة يوسع مفهوم العمل الصالح ، هناك من يتورهم أنه لابد من أن يؤلف كتاباً وهو لا يملك المقومات ، لا بد من أن يكون داعية ، وهو لا يملك المقومات ، أقامك الله في الطب أتقن هذه الحرفة وابتغ بها وجه الله .

بل إن العلماء يقولون : أي عمل ترتزق به إذا كان في الأصل مشروعًا ، وسلكت به الطرق المشروعة ، وابتغت به كفاية نفسك وأهلك ومن تعول ، ولم يشغلك عن طاعة ، ولا عن واجب ، ولا عن فريضة ، انقلب هذا العمل إلى عمل صالح ، إلى عبادة ، بل إن عادات المؤمن عبادات ، وإن عادات المنافق سيئات ، فحينما توسع في نظر المسلمين مفهومات العمل الصالح ، أي عمل تخدم به المسلمين تبتغي به وجه رب العالمين ، هو طريق إلى الله عز وجل ، أردت من هذا الكلام ألا ت quam نفسك في عمل لا تملك وسائله ، ولا تملك مقوماته ، فتسيء وتهمل العمل الذي أقامك الله به .

سيدنا علي كرم الله وجهه يقول : " قيمة كل امرئ ما يحسنه " كان أصحاب النبي عليهم رضوان الله متبانين في الطاقات والقدرات ، وكل أخذ بالعمل الذي يحسن ، وما رئي أحد منهم عاطل عن العمل ، سيدنا خالد كان سيفاً من سيف الله ، وكان أبي أقرأ الصحابة للقرآن ، وكان معاذ أعلمهم بالحلال والحرام ، هناك اختصاصات ، أبو ذر الغفارى من أكبر المؤثرين في الدعوة ، أسلمت قبيلة غفار على يديه ، ومع ذلك لا يصلح للإمارة ، قال له : إنك ضعيف ، وإنني أحب لك ما أحب لنفسي . إذاً في الحياة كفاءات وقدرات واحتياجات ، أتقن العمل الذي أقامك الله به ، ابتغ به وجه الله ، اخدم به المسلمين ، أخلص ، حسن ، طوره ، وجهه للخير ، ثم اجعل هذا العمل في خدمة المسلمين ، بهذه الطريقة ترقى هذه الأمة .

هناك مشكلة أيها الأخوة أن هناك طموحات كبيرة جداً يبدو أنها مستحيلة الآن ، فهناك مسلمون طموحاتهم كبيرة جداً ، ولأنها مستحيلة لا يفعلون شيئاً ، الأعمال التي بإمكانك أن تفعلها لا يفعلها ، الأعمال التي في قدرتك أن تفعلها لا يفعلها ، الأعمال المستحيلة الخيالية التي لا يمكن أن تقع بالمعنى المنظور يطمح إليها ، ولأنها مستحيلة ، ولأن بإمكان الذي يفعله لا يفعله في النهاية لم نفعل شيئاً ، كما أقول دائماً : بقينا ظاهرة صوتية .

قال بعضهم : يابني اطلب ما يعنيك بترك ما لا يعنيه أدرك ما يعنيه .

طريق الدعوة إلى الله طريق العمر :

شيء آخر أيها الأخوة ؛ هو أن الطريق إلى الله طويل ، وأن طريق الدعوة إلى الله طريق العمر ، فهو لاء الذي يستجلون الثمار قبل أو انها يقعون في إحباط شديد ، قلت مرة قبل خطبين : إن الجهاد ليس عملاً مرتجاً نواجه به خطراً داهماً ، الجهاد عمل يومي مستمر واع ومخلص ، يبدأ بجهاد النفس والهوى ويعبر الجهاد الدعوي ، ثم الجهاد البنائي ، فإذا صاح جهاد النفس والهوى والجهاد الدعوي والجهاد البنائي ينتظر أن ننجح في الجهاد القتالي . أيها الأخوة الكرام ؛ السلف الصالح لهم مثل عليا في هذا الحقل .

الجماعة رحمة :

شيء آخر ؛ حينما ينفصل المؤمن عن الآخيار ، عن العاملين ، عن المتألقين ، عن المخلصين ، ويعيش وحده يصارع الشيطان ، يصارع أهواءه .

((الجماعة رحمة ، والفرقة عذاب))

[القضاعي عن النعمان بن بشير]

((فَإِنَّ الشَّيْطَانَ مَعَ الْوَاحِدِ وَهُوَ مِنَ الْأَنْثَيْنِ أَبْعَدَ))

[ابن المبارك عن عمر رضي الله عنه]

((إنما يأكل الذئب الفاسدة))

[أحمد عن أبي الدرداء]

الجماعة رحمة ، قال تعالى :

﴿اتّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾

[سورة التوبة : ١١٩]

لا تتفصل عن الجماعة ، كن مع المجموع ، قال تعالى :

﴿وَسَارِعُوا﴾

[سورة آل عمران : ١٣٣]

ليست هناك مساعدة فردية ، قال تعالى :

﴿سَابِقُوا﴾

[سورة الحديد : ٢١]

ليس هناك سباق فردي ، لا بد من أن تكون مع الجماعة ، الجماعة رحمة ، الجماعة تسد لك ، الجماعة تصحح لك مسارك ، فهذا الذي ينزوكي وحده ، ويتابع الأخبار ولا يفعل شيئاً ، ويوزع التهم على الناس ، هذا نمط مرفوض عند الله عز وجل ، كن مع الجماعة ، آلاف الأعمال بإمكانك أن تفعلها ، آلاف الأعمال بإمكانك أن تفعلها دون أن تسأل ، دون أن تحاسب ، دون أن تخشى شيئاً ، ما هو في قدرتك افعله ، ألا الذي عليك واطلب من الله الذي لك ، ما كلفك الله فوق ما تطيق ، أمرك أن تقيم الإسلام في نفسك ، وفي بيتك ، وفي عملك ، وينتهي كل عمل أنت مكلف به .

يقول بعض العلماء : " ما بقي في الدنيا شيء إلا الصلاة جماعة وللقاء بالأخوة المؤمنين ".
يقول الحسن البصري : " لم يبق في العيش إلا ثلات ؛ أخ لك تصيب من عشرته خيراً ، فإن زاغت عن الطريق قومك ، وكفاف من عيش ليس لأحد عليك فيه تبعة ، وصلة في جماعة تكفي سهوها وتستوجب أجرها " .

وقال الحسن البصري أيضاً : " المؤمن مرأة أخيه ، إن رأى منه ما لا يعجبه سدده وقومه ، ووجهه ، وحاطه في السر والعalanية " .

وسيدنا عمر بن عبد العزيز يقول : " من وصل أخاه بنصيحة له في دينه ، ونظر له في صلاح في دنياه فقد أحسن صلته ، وأدى واجب حقه " أي الجماعة خير .

وقال الشافعي : " ما نصحت أحداً فقبل مني إلا هبته وكبر في عيني ، واعتقدت مودته ، ولا رد أحد على النصح إلا سقط من عيني " وقد وصف الله أهل الزيف بأنهم لا يحبون الناصحين ، في الجماعة نصح وأمر بالمعروف ونهي عن المنكر .

بعض سلبيات من هو سائر في الطريق إلى الله عز وجل :

أيها الأخوة الكرام ؛ من يظن أن كائناً من كان في الأرض يستطيع أن يغلق باب الدعوة إلى الله ، وأن يغلق باب الهدى فقد أساء الظن بالله عز وجل ، هناك من يردد : المسلمين انتهوا ، الأقواء سوف يتخلون في مناهج دراستهم ، وفي مناهج دينهم ، هذا كلام يقال ، ولكن لا يستطيع أحد أن يفسد على الله هدایته للخلق ، هذا إنسان لا يمكن أن يكون ، هذا الدين دين الله ، ولو لم يكن دين الله لتلاشى من مئات السنين ، لا تقلق على هذا الدين إنه دين الله ، اقلق إذا ما سمح الله لك أو لم يسمح أن تكون جندياً من جنوده ، إن الله عز وجل ينصر هذا الدين بأي إنسان ، فلا تقل : انتهينا ، لا تقل : تدخلوا في شؤوننا ، تدخلوا في مناهج دراستنا ، سيلعون المعاهد الشرعية ، هذا كلام يردد الشياطين من أجل إضعاف همة المسلمين ، ليس في الكون إلا الله ، هذه حقيقة كبيرة ، كل شيء يقرب إلى الله ، الله عز وجل ييسر له الأمر.

﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحَ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالآصَالِ * رِجَالٌ لَا تُتْهِيهِمْ تِجَارَةً وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ﴾

[سورة النور : ٣٦ - ٣٧]

أيها الأخوة :

﴿بُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ﴾

[سورة التوبه : ٣٢]

بربكم لو إنسان توجه إلى قرص الشمس ونفح فيها نفحة من أجل إطفائها ، بم يحكم على عقله ؟ الشمس ، لو توجه إلى الشمس ونفح في وجه الشمس ، أو في قرص الشمس نفحة ليطفئها ، هؤلاء الكفار من ضيق أفقهم ، ومن جهلهم :

﴿بُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ﴾

[سورة التوبه : ٣٢]

أيها الأخوة الكرام ؛ لا بد من حد أدنى من التفاؤل ، لا بد من حد أدنى من الثقة بالله ، لا بد من حد أدنى أن الله لن يتخلى عنا ، لا بد من حد أدنى من التعاون ، لا بد من حد أدنى من المشاوره ، لا بد من حد أدنى من أن تكون في جماعة ، هذه بعض سلبيات من هو سائر في الطريق إلى الله عز وجل .

أقول قولي هذا ، وأستغفر الله العظيم لي ولكم ، فاستغفروه يغفر لكم ، فيما فوز المستغفرين ، أستغفر الله .

* * *

الخطبة الثانية :

أشهد أن لا إله إلا الله ولي الصالحين ، وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله ، صاحب الخلق العظيم ، اللهم صلّ وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

الدين الإسلامي دين سياسي و اجتماعي و اقتصادي :

أيها الأخوة الكرام ؛ من عظمة هذا الدين أنك إن رأيت الناس شردوا عن الله ، وابتعدوا عنه ، وغرقوا في معاقيبهم ، بإمكانك أن تكون مؤمناً ديناً متمسكاً دون أن تتأثر بالآخرين ، إن لم تستطع أن تقنع الناس بهذا الدين فطبقه أنت ، وانج بنفسك ، لأن الله عز وجل يقول :

﴿بِلِ اللَّهِ فَاعْبُدُ وَكُنْ مِنَ الشَاكِرِينَ﴾

[سورة الزمر : ٦٦]

هو نظام اجتماعي ، نظام اقتصادي ، نظام سياسي ، ولكن إن انصرف الناس عنه هل تبقى بلا إيمان ؟ بلا التزام ؟ بلا طاعة للواحد الديان ؟ لا ، أنا أطبق أمر الله في بيتي ، أطبقه على أولادي وبناتي وعلى زوجتي ، أتحرى الحال فيما أكسب من مال ، أتحرى الوجه الشرعي في إنفاق المال ، أنصح للمسلمين ، أمر بالمعروف ، أنهى عن المنكر ، هذا الذي علي ، أدو الذي عليك واطلب من الله الذي لك ، لا تتأثر كثيراً بالجو العام ، لا تتأثر كثيراً بالفساد العام ، بالنفاق العام ، كن صادقاً ، من يمنعك أن تكون صادقاً ؟ من يمنعك أن تكون أميناً ؟ من يمنعك أن تكون عفيفاً ؟ من يمنعك أن تغض بصرك ؟ من يمنعك أن تتطق بالحق ؟ من يمنعك أن تربى أولادك ؟ من يمنعك أن تأمرهم بالصلة ؟ السبيل مفتوحة ، وهذا الذي تطالب به لا يستطيع بشر كائناً من كان أن يمنعك منه ، لكن المسلمين - كما قلت في الخطبة الأولى - قصرروا فيما هم قادرون عليه ، وطمحوا إلى المستحيل ، ففي النهاية لم يفعلوا شيئاً .

الدعاة:

اللهم اهدنا فيمن هديت ، وعافينا فيمن عافت ، وتولنا فيمن توليت ، وبارك لنا فيما أعطيت ، وقنا واصرف عنا شر ما قضيت ، فإنك تقضي بالحق ولا يقضى عليك ، وإنه لا يذل من وليت ، ولا يعز من عاديت ، تبارك ربنا وتعاليت ، ولك الحمد على ما قضيت ، نستغفك ونتوب إليك ، اللهم هب لنا عملاً صالحاً يقربنا إليك ، اللهم أعطنا ولا تحرمنا ، أكرمنا ولا تهنا ، آثرنا ولا تؤثر علينا ، أرضنا وارض عنا ، أصلح لنا ديننا الذي هو عصمة أمرنا ، وأصلح لنا دنيانا التي فيها معاشنا وأصلح لنا آخرتنا التي إليها مآلنا ، اجعل الحياة زاداً لنا من كل خير ، واجعل الموت راحة لنا من كل شر ، مولانا رب العالمين ، اللهم اكفنا بحلالك عن حرامك ، وبطاعتك عن معصيتك ، وبفضلك عن سواك ، اللهم لا تؤمننا مكرك ، ولا تهلك عنا سترك ، ولا تنسنا ذكرك يا رب العالمين ، اللهم بفضلك ورحمتك أعل كلمة الحق والدين ، وانصر الإسلام وأعز

ال المسلمين ، وخذ بيده ولاتهم إلى ما تحب وترضى ، انصرهم على أعدائك أعداء الدين ، شتت شملهم ، اجعل تدميرهم في تدبيرهم ، اجعل بأسهم بينهم ، انصرنا عليهم نصراً عزيزاً مؤزراً ، أرنا قدرتك في قهرهم يا رب العالمين ، إنك على ما تشاء قادر ، وبالإجابة جدير .

والحمد لله رب العالمين